ليس في الإسلام بابا

أتى الإسلام بالحق والصدق وإكرام الإنسان وإنزال الناس منازلهم وحارب الخرافة والوثنية والغلو، ومن ذلك أنه جعل العظمة والكبرياء والجبروت لله وحده، حتى رسولنا ﷺ كان يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبدالله ورسوله فقولوا عبدالله ورسوله**»، وكان يغضب إذا غلا أحد في مدحه، وعرف الصحابة ذلك، فعاشوا في وضوح وصراحة موحدين ربهم عارفين حق رسوله ﷺ سالمين من الغلو والإطراء، حتى يقول ابن عباس لبعض الناس ممن غلا في أقوال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال الله ورسوله وتقولون: قال أبو بكر وعمر، فخلف من بعدهم خلف عبر القرون غلوا في المشايخ والزعماء والأولياء فقدسوهم، ومنهم من طاف بقبر الشيخ والولي وطلب منه المدد والغوث وقضاء الحاجات وتفريج الكربات، وهذا شرك صريح وضلال واضح، ومنهم من أخذ كلام شيخه كأنه قرآن يتلى وساعده في ذلك قبول المشايخ لهذا الغلو وسكوتهم على هذا المنكر، حتى إني رأيت من شيوخ الضلالة من يقبّل أتباعه قدميه وركبتيه ويديه ورأسه وهو مطرق كأنه حية رقطاء، ومن الأتباع من ينظم القصائد الغالية في شيوخه ويعطيهم بعض صفات الألوهية بل الربوبية: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

وذكر الذهبي أن بعضهم يقول: لا يفلح من قال لشيخه: كيف؟ أو لماذا؟ يعني المقصود أن يكون الأتباع: ﴿صُمُّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، ونحن في الإسلام نقدر العلماء ونحترمهم ونجلهم ولكننا لا نغلو في حبهم ولا نجعل أقوالهم نصوصاً قاطعة، بل نعرض أقوالهم على الكتاب والسنة، وعجبي لا ينتهي من أناس إذا حاورناهم في مسألة وعرضنا لهم الدليل جادلونا بكلام الشيخ كأن كلامه وحي منزل، وهذا الغلو الذي تعيشه الأمة ناتج عن ضعفها وهزالها وغثائيتها، وقد سرى هذا الغلو في الجانب العلمي والسياسي والاجتماعي، فتجد كثيراً من الدول

نسي اسم الدولة وأُهمل الوطن كله، ورُكز على اسم الزعيم فقط كيف يتحدث؟ كيف يأكل؟ كيف يشرب؟ كيف ينام؟ كيف يستيقظ؟ كيف يبتسم للجماهير؟ فصار الإعلام والتعليم مشغولاً بهذا الرمز والقائد الضرورة والمهيب الركن وفارس أحلام الأمة وبركة العصر وباني أمجاد الأولين والآخرين وسر الله في العالمين، وصار الغلو إلى أن وصل الشرك في الأولياء، فصاروا يتبركون بشعرهم وأظفارهم وملابسهم وبصاقهم ونفثهم في الماء والزيت، ومسح قبورهم، والطواف بأضرحتهم، فانطمس نور التوحيد، وذهب جمال الدين الخالص، وانطفأت أنوار الرسالة، وذهبت بهجة الإسلام، وسكت كثير من العلماء عن هذه المنكرات.

وقد زرت مسجد الحسين قبل عشرة أيام فوجدت والله ما أبكى العين، رقصٌ في ليلة المولد التي ليس عليها دليل وغناء وموسيقى بجانب المسجد وضرب للصدور وصياح ونواح ونداء وصراخ وهم يهتفون: يا جد الحسين، أغثنا، فبالله عليكم هل هذا من الإسلام وهل عليه دليل من الكتاب والسنة أم هو الشرك والضلالة والخرافة ووالله لو شاهدهم أحد من غير المسلمين لسخر منهم واستهزأ بهم ومجّ الإسلام ونفر من الدين، لقد جرد الرسول ﷺ التوحيد لله وحده وحمى جنابه وقطع كل وسيلة شركية أو بدعية تصل إليه حتى في الألفاظ، فقد أنكر على الأعرابي الذي يقول: ما شاء الله وشئت، فقال له: ويحك أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده، وقال ﷺ وهو في سكرات الموت: «**اللهم، لا تجعل قبري وثناً يعبد**»، فيا أيها المسلمون اخلصوا التوحيد لربكم واخرجوا من ظلام الشرك والبدع والخرافة ولا تغلوا في دينكم ولا تقدسوا مشايخكم، حتى لو كانوا أتقياء بررة فحق العالم والشيخ التقي الصادق أن يوقر ويحترم وينزل منزلته على أنه بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وقد يصدر منه الخطأ والذنب، أما هذا العبث الذي يجري في العالم الإسلامي من نصب بابوية في كل مكان والإعلان عن مشيخة في كل مدينة فهو منهج إبليسي ومذهب شيطاني، فعلته الأمم الضالة قبلنا واتبعهم جهّالنا، كما قال ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**

حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، أرجو أن نعود لمصدر التلقي الصحيح وهما الكتاب والسنة، ونقرأ سيرة سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ونعود عودة صادقة إلى العقيدة الصحيحة والدين القويم، ونطهر عقولنا وأرواحنا من رجس الخرافة ومن نجاسة الوثنية ومن دنس الشرك ومن درن البدعة: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.

obeikandl.com

ثمن الحرية الحمراء

نزل صك الحرية من السماء أتى به جبريل من عند الله عز وجل، ونصه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، فجرى العقد في بيعة الرضوان والمشتري هو الله، والبائع المؤمنون، والسلعة الجنة، والثمن أرواح المؤمنين، والشاهد الرسول ﷺ، وحامل العقد جبريل عليه السلام، فبايع المؤمنون وقاموا من مجلس العقد، وفي الحديث: «**البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإذا تفرقا وجب البيع**»، ولم تحصل الحرية من عبادة الطاغوت بالمفاوضات فحسب، بل لما عاند أعداء الله كان بحسم من السيف، يقول صديقنا أبو الطيب:

من اقتضى بسوى الهنديِّ حاجتَه
أجابَ كلَّ سؤالٍ عن هل بلِم

وكل الثورات التحررية في العالم والفتوحات والحركات النضالية لا تحصل إلا بأرواح تُزهق ودماء تُسفك، وهل قامت الدول إلا بأثمان باهظة من الدماء والأشلاء والجماجم؟ وما وقع في بدر وأُحد والقادسية واليرموك وحطين إلا دفاع عن حرية الإنسان، إذ يتحرر من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق سبحانه.

وفي التاريخ المعاصر هل وُحّدت الولايات المتحدة الأمريكية على يد جورج واشنطن بالمفاوضات الدبلوماسية والاجتماعات الودية أم بالحديد والنار والتضحيات الباهضة؟ وهذا ما حصل، هل حررت الجزائر أرضها أو شعبها من الاحتلال الفرنسي بالترجّي والتّمني وطلب العفو أم بكتائب جرّارة ونار موقدة وقذائف حامية ورؤوس عافت أبدانها في سبيل الحرية؟ وهذا الذي جرى، وهل

أُخـرج الاستعمار الفرنسي والإنجليزي من العـراق وسوريا واليمن وليبيا وغيرها بالتمائـم والحجب المعلقة وخرز السّحار أم بعاصفة من الغضب والزحف المقدس وآلاف الشهداء وأنهار الدماء؟ وهذا الذي صار يقول شوقي:

ولـلـحـريّـةِ الحـمـراءِ بـابٌ
بـكـل يـدٍ مـضـرَّجـةٍ يُـدقُّ

وهـل وحّد الملـك عبدالعزيز السعوديـة وقضى على عهد السلـب والنهب وتقاتُل القبائل وتعطيل قوافل الحج وفنون المشعوذين والسحرة والكهنة، هل قضى على ذلك ببطاقات معايدة أو كروت دعوة أم بسيف بتّار؟ كما يقول الشاعر خلف بن هذال:

شاقني برقن سرى في مقاديمهْ سحابْ
كن فيه اسيوف عبدالعزيز امسلله

وكم يعجبني البيت الشارد الفذ الذي قاله ابن دحيم شاعر العرضة النجدية للملك عبدالعزيز، حيث يقول:

نجد شامت لبوتركي وخذها شيخنا
واخمرت عشّاقها عقب لطم اخشومها

أقول هذا وأنا أقرأ لبعض الكتّاب الانهزاميين الذين أنكروا على الشعوب العربية طلـب الحرية ودفع الدم الأحمـر في سبيل ذلك وطالب هـؤلاء الموهومون بألا تكون مواجهـات وإنما بطريق الحوار السلمي -يـا سلام على الحوار السلمي- وهل يقتنع زين العابدين في تونس بالحوار السلمي؟ وهل يؤمن أصلاً بالحوار؟ وهل يحترم العقل والنقل؟ وهو الذي فتك بالشعب التونسي فتكاً وأذلّه إذلالاً وحال بينهم وبين الإسلام ووالله لو فاوضه شعب تونس مئة سنة ما أصغى لهم، حتى خرجوا كالبحر المائج ففرَّ كالحصان الهائج، هل يرضى حسني مبارك ويسلم للمصريين حريتهم بالمفاوضات وهـو الذي خطط لابنه جمـال ليكون خليفة مـن بعده يجثم على صـدور المصريين أربعـين سنة، ولكن أبطال العبور وهازمي العدوان الثلاثي رفضوا ذلك حتى أدخلوه

الزنزانة ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ أحدهم جمال والآخر علاء؟ فأحدهما يحمل على رأسه خبز الشعب والآخر يعصر خمر اللذات؟ هل سيسلّم القذافي السلطة بعد اثنتين وأربعين سنة أهان فيها ليبيا وسام الليبيين الأحرار أحفاد عمر المختار سوء العذاب؟ هل سيسلّم لهم حريتهم بالنقاش والإقناع؟ كلا، وألف كلا لكن لما حمل الثوار البنادق وقدموا الأرواح وأرخصوا الدماء فرَّ هو وأولاده كالجرذان من جحر إلى جحر، حتى قُبض عليه في مجرى سيل كان مختبئًا فيه وقُتل، بعد أن أهان شعبه ونعتهم بالجرذان. هل يؤمن بشار الأسد بالتداول السلمي للسلطة وهو الذي ورث أباه في خلافة مغولية بعد أن عُدّل الدستور السوري في ثلاث دقائق حيث كان ينص الدستور على أن عمر الرئيس أربعون سنة ففُتح على المجتمعين لا فتح الله عليهم واكتشفوا أنه يجوز أن يتولى الرئيس وعمره سبع وثلاثون سنة، ثم نكسوا على رؤوسهم واكتشفوا ثانية أن هذا الرئيس هو الغلام بشار بن حافظ، فهتفوا في مجلس الشّغب وليس في مجلس الشعب: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾، هل مثل هذا يستمع لصوت أو يبكي لفقيد أو يرثي لشهيد أو يرحم عجوزاً أو يلطف بأرملة؟ لا والله بل بثمن الحرية الحمراء وهو دم أحمر يخرج من عروق مؤمنة بالله وتُقطع معه رؤوس سجدت لله، كما قال العبودي شاعر العراق لما أخرجوا المستعمر بعد تضحيات من الدماء والأرواح:

ثمنُ المجدِ دمٌ جُدْنا به
فاسألُوا كيف دفعنا الثمنا؟

والله لقد كان ثمناً باهظاً ومكلفاً ومتعباً وضخماً، ولكنه ثمن الحرية الحمراء دائماً وأبداً. قال زميلنا أبو الطيب المتنبي:

ومنْ طلبَ الفَتَح الجليلَ فإنّما
مَفاتيحُهُ البيضُ الخِفافُ الصَوارِمُ

وقال في بيت باذخ جبّار:

لا يَسلمُ الشرَفُ الرفيعُ من الأذى

حتى يُراقَ على جوانِبِهِ الدمُ

obeikandl.com

تحرير الإنسان قبل تحرير الأوطان

لما بُعث الرسول ﷺ كان همه تحرير الإنسان من عبودية الطاغوت والسجود للصنم وإفراد الله تعالى بالألوهية والوحدانية، لقد مكث ﷺ في مكة عشر سنوات يدعو إلى لا إله إلا الله وهي تحرير للإنسان ولم يسعَ لتحرير مكة البلد، بل تركها حتى عاد لها بعد عشر سنوات بجيش جرار فاتحاً منتصراً، كان ﷺ بالوحي المنّزل عليه يحرر الإنسان من عبوديته للإنسان أو أي كائن من كان ليكون عبداً فحسب للرحمن الذي خلقه ورزقه وتولى أمره فأنقذ بدعوته بلال بن رباح الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي من سياط التعذيب والاستبداد والاستعباد التي كان يمارسها عليهم الطغاة المتسلّطون، وهو يعلن أن لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى وأن أكرم الخليقة عند الله أتقاهم وأن الناس سواسية كأسنان المشط، وطُبقت هذه التعاليم في دولة النبوة والخلافة الراشدة فيتولى زيد بن حارثة وابنه أسامة وهما من الموالي قبل الإسلام قيادة جيش الإسلام في عهده ﷺ، ويجلد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمام الناس محمد بن عمرو بن العاص ابن أمين مصر؛ لأنه ضرب قبطيّاً، ويقول له عمر: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟

وأصل فكرة الإسلام تقوم على الحرية، فمن بنوده: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾، ﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾، ولهذا يولد الإنسان حرًّا ليس لأحد من البشر عليه عبودية بل عبوديته لله وحده، لأن من تمام إنسانية الإنسان أن يكون حرًّا الحرية المشروعة التي لا تعتدي على حريات الآخرين، حرٌّ في نفسه ورزقه وعمله وقلمه وحرٌّ في فكره بضوابط الملة التي وافق عليها عقلاء العالم، يقول أرسطو: ليس هناك حرية مطلقة إلا في الأذهان، وقصدي من هذا أن الإسلام حرّر الإنسان قبل أن يحرر الأرض فأعطاه قيمته وأشعره بإنسانيته وفتح له آفاق العطاء والإبداع والموهبة، أما أتى حسان بن ثابت وهو شاعر جاهلي كبير فرحّب به ﷺ وقرّب له منبره وحيّاه

وحيًّا موهبته؟ ورحّب بموهبة خالد بن الوليد في الشجاعة والإقدام وسلّم له قيادة الجيش؟ ورحّب بموهبة ثابت بن قيس في الخطابة وأقامه في الوفود منافحاً عن الملة؟ وفتح باب الشورى فكان ﷺ يستشير الناس مع العلم أنه معصوم مؤيد بالوحي ولكن الله يقول له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾، بل استشار ﷺ حتى الجارية في قضية عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري، واستشار أم سلمة رضي الله عنها زوجته في الحديبية وأخذ برأيها وأخذ عمر الفاروق رضي الله عنه برأي امرأة في المهر وقال: أصابت امرأة وأخطأ عمر، وماذا كان ينفع تحرير مكة الوطن والإنسان الذي يعيش عليها مستعبد مضطهد؟

وقد تُفتح الأراضي وتُوسع الأوطان ولكن البشر الذين يمشون على وجهها أرقاء أذلاء لأصنام الحجر، أو أوثان البشر، فكان مشروع الإسلام العظيم أن يحرر الإنسان في معتقده وفكره وكلمته وقلمه وموهبته ورزقه وكرامته ليس للإنسان عليه عبودية وإنما قد يكون هناك ولاية لمصلحة الإنسان نفسه؛ لتقوم حياته على النظام، وهذه الولاية أو السلطة متفق عليها عند سائر الأمم وهي عقد شراكة وفي كتاب أفلاطون (الجمهورية) جعل هذه الولاية هيكلاً لتنظيم الحياة وكذلك الفارابي في (المدينة الفاضلة) وتونبي المؤرخ الإنجليزي في تاريخه، لكنها ليست عبودية إنما هي تعاون في صنع الحياة كالمؤسسة التي بها مدير وكاتب وحارس ومحاسب، وليس معنى ذلك أن أحدهم خالق والآخر مخلوق، كلا بل هم بشر تحت حكم الله سواسية أمام العدالة والمغانم والمغارم والحقوق والواجبات، والذين سقطوا من طغاة العالم وداستهم الجماهير بأقدامها إنما حصل لهم هذا الهوان؛ لأنهم خالفوا سنة الله في حرية الإنسان وحقه في العيش الكريم والاستقلال بشخصيته وتنمية موهبته ومواصلة إبداعه، فهم اختصروا الأمة في ذواتهم وألغوا الأصوات إلا أصواتهم، فصادروا الآراء إلا آراءهم وشطبوا الصور إلا صورهم ولهذا شنّع الله على فرعون الطاغية اللعين المستبد وذكر قوله السخيف حيث يقول لرعيته: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ ومعناه فكروا جميعاً بعقلي وتكلموا بلساني وعيشوا من أجلي وموتوا لبقائي.

ولهذا يقول الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد): إن الموهبة والنبوغ والقدرات العقلية تُقتل في عهد الاستبداد، إن مكتشف القنبلة الذرية في الولايات المتحدة كافأه الرئيس الأمريكي ترومان بأرفع الأوسمة وأثمن الجوائز وصار شخصية لامعة في تاريخ أمريكا ولكن المخترع في دول العالم الثالث والمكتشف يتعرض للمحاسبة والمساءلة؛ لأنه استخدم عقله وأظهر نبوغه، وقد حوكم جاليلو لما قال في دوران الأرض في ظل الاستبداد من قِبَل الكنيسة، وفي عصر الحرية كُوفئ الكاتب راسل ولامارتين وفولتير وغيرهم من الكتّاب واللامعين بأسماء شوارع وجامعات في فرنسا وحيثما ترى الأمة تقدر العلماء وتحترم الموهوبين فاعلم أنها صاعدة في سلم الرقي والتّمدن، وإذا رأيتها تحاصر العقول وتُلغي المواهب وتعتقل النبوغ فاعلم أن ريح الزمن سوف تهوي بها في مكان سحيق؛ لأنها خالفت حكمة الله وسنة الوجود وقانون الحياة، والفرق بين الأمم المتحضّرة والمتمدّنة والأمم المتخلّفة الجاهلة هو مستوى حرية الإنسان.

لماذا تأخر العرب؟

تأخـر العرب في سلّم التمـدّن الحضاري والرقي المـادي لأسباب من أهمها: الجهـل والاستبـداد والاختلاف، فالجهل حملهم على هجـر المعرفة والتقصير في طلب العلم والإعراض عن القـراءة والاطلاع والبحث والاستقراء، فارتفعت نسبة الأميّـة ورضـوا باجترار الماضي والتغني بمجد الأجداد مـع العلم أن أول آية نزلت على النبي الأمي العربي ﷺ قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، ولهذا فانظر نظر متأمل في الجمهور العربي في الميادين العامة والحدائق والطائرات والباصات تجدهـم في كلام لا ينتهـي وحديث فـارغ لا ينفع، بينما ترى غيرهـم من الشعوب الشرقيـة والغربية أهل اطلاع ومصاحبة للكتاب وأهل نظر وبحث ودراسة وتأمل، ومـن أسباب التّخلف الاستبـداد والانفراد بالرأي وتعطيل عمـل المؤسسات وعدم السماع للآخر وعدم الإنصـات لآراء العقلاء والحكماء والاستيلاء على المقدّرات والاستحواذ علـى الثروات ومحاربة الأفكار المبدعـة والمواهب الخلّاقة؛ خوفاً من التغيـير والعمل بشعار (ليـس في الإمكان أحسن ممـا كان) وترديد مقولة: (الله لا يغـيّر علينـا) والله لا يغيّر حـال المحبطين والضعفاء والفاشلـين حتى يغيروا ما بأنفسهم فيطلبون العلم ويعمرون نفوسهم بالإيمان ودنياهم بالعمل والإنتاج.

والسبب الثالث من أسباب تأخر العرب الاختلاف والفرقة والتّمزق والأنانية، فهـم ثنتان وعشـرون دولة واثنـان وعشرون رأيـاً واثنان وعشرون مقعـداً واثنان وعشـرون طريقاً، وهذا الاختـلاف جعلهم أعداء لأنفسهـم ومصالحهم، فالجار العربـي يتربصـ بجاره وربما احتـل أرضه واغتصب دياره كمـا حصل في مناطق التوتر بين دول عربية، بينما تجد أوروبا على اختلاف دياناتها ومذاهبها وأعراقها ولغاتهـا توحّـدت في كيان واحد وعملـة واحدة وسوق واحدة وبرلمـان واحد وجيش واحـد، فأصبحت دولة واحدة، ولن ينهض العرب مـن كبوتهم إلا بالإيمان والعلم والعمل والعدل والوحدة.

فالإيمـان: يجعلهم عباداً لله صادقين مخلصين أهلاً لحمل الرسالة التي جاء بها النبي العربي ﷺ بكتاب عربي، فيعتزون بدينهم، ويتشرفون برسالتهم للعالم.

وبالعلـم ينفضون عنهم غبار الجهل والأميّة والتّخلـف، وتُفتح أمامهم أبواب المعرفة والإبداع والاختراع.

وبالعمـل ينطلقون في ميادين الحياة وحقول البناء والتعمـير ويبنون صروح المجـد، فلا يكونون عالة على غيرهم همهم الاستـيراد والاستهلاك وإنما يملكون الكفاية والاستغناء عن الآخرين.

وبالعدل يرتفع عنهم سوط الظلم وسيف الجبروت وشبح الاستبداد، ويعيشون أحـراراً كرمـاء شرفاء سواسيـة في الحقوق والواجبات بلا ظلـم ولا اضطهاد ولا مصادرة لحقوق الآخرين ولا تكميم للأفواه الراشدة ولا حجب للآراء السديدة.

وبالوحدة تتم لهم القوة والعزة وتهابهم الأمم وتقدّرهم الشعوب ويُسمع صوتهم في المحافل الدولية ويحتلون موقع الصدارة بين أمم الأرض، كيف كنا وكيف أصبحنا، كنـا في فـترة من فترات التاريـخ يوم آمنا بـالله واعتصمنا به وطلبنـا العلم وحكمنا بالعدل ونشرنا المعرفة، كنا حينها سادة العالم ومنتجي أروع حضارة في تاريخ البشرية الطويل وشيّدنا عواصم في العلم والازدهار المعرفي والمجد الحضاري في مكة والقاهرة وبغداد ودمشق والزيتونة والقيروان وقسنطينة ومراكش وقرطبة والحمراء والزهراء وإسطنبول والسند، ثم صرنا الآن في وضع يُرثى له نطلب الدواء والغذاء والكساء من غيرنـا ونستورد ملابسنا وأثاثنا ومراكبنـا من سوانا ونطلب العفو من القوى العظمى الضاربة ونستجدي العالم لحمايتنا، بل إن الشعوب العربية تتوسل إلى حلف الناتو أن يحميهـا من بطش الظالمين وقهر السفّاحين، وصرنا في عالم الدنيا من الدول النامية بـل النائمة والعـالم الثالث فلا ديناً نصرنـا، ولا عدواً كسرنا، ولا جهـلاً قهرنا، ولن نعـود إلى مجدنا الباهي السابق إلا كما كنـا مؤمنين صادقين عاملين صابرين أوفياء لرسالتنا حفّاظاً لمبادئنا غيورين على أمتنا أهل علم وعدل ووحدة وسلام ورحمة.

العقل العربي في الواجهة

لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، وأبو لهب الهاشمي القرشي في النار وبلال بن رباح الحبشي في الجنة ولكن العرب نزلت الرسالة بلسانهم والرسول ﷺ منهم في أرضهم جرت ثورة التوحيد وملحمة الفتوحات فكان العبء عليهم ثقيلاً والمسؤولية كبيرة مقابل الفخر الذي حازوه والشرف الذي أدركوه بمبعث النبي العربي منهم ونزول القرآن العربي بلغتهم ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ أي شرف لك ولقومك ولكن المفارقة الغريبة أن تجد بعض العرب يحاربون هذا الشرف، ويتنكرون للرسالة ويصدون عن سبيل الله ويتبعون كل ناعق ويبغونها عوجاً فبعض زنادقتهم سخر من الدين وقدح في الملة واعترض على الشريعة بينما تجد الأعاجم في تركيا والهند وإفريقيا تسيل دموعهم عند سماع الحق وترخص دماؤهم في سبيل الله، فما لقومنا العرب لا يدخلون في الشرف العربي الوحيد الذي توجنا الله به برسالة سيد ولد آدم ﷺ.

يجب على العقل العربي أن يكون في مقدمة العقول المتدبرة لآيات التشريف ونصوص الوحي، وهذا العقل العربي ينبغي أن ينتظر منه الناس اكتشاف أسرار الرسالة ومقاصد الإسلام وحِكم التشريع، هذا العقل العربي لم يُخلق للرواية الآثمة ولا للكتاب الإلحادي ولا للفكرة القومية الأرضية، إنه عقل يجب أن يكون ربانيًّا سماويًّا؛ لأن العرب قدموا للعالم أشرف إنسان وطئ الثرى وأتحفوا الدنيا بالخلفاء الراشدين وزينوا قائمة التاريخ برموز من أمثال خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص والقعقاع بن عمرو ومحمد بن القاسم، نحن العرب أشرقنا على العالم مع موعد من التاريخ وكأن الدهر ينتظرنا والأرض تشتاق لنا شوقها للغيث المدرار بعد جدب شديد، لما ذهبنا لنيودلهي ولكنو وإسطنبول وأديس أبابا أخذنا نمدحهم؛ لأنهم أكثر حفظاً للقرآن منا وأكثر تعلماً للسنة فقام خطباؤهم ورفضوا ما قلناه، وقالوا: بل أنتم العرب الذين قدموا أعظم التضحيات وأجلّ الجهود لنشر

الإسلام، أنتم العرب الذين امتطوا البحار، وطووا القفار، وساروا مسير الليل والنهار، حتى رفعوا لا إله إلا الله، أنتم العرب الذين صلّوا في السند وأذّنوا في قرطبة وسجدوا في بخارى وخطبوا في البنجاب ودرّسوا بطاشقند واستُشهدوا عند سور الصين العظيم، فأنتم الأوائل أيها العرب وأنتم الرواد والأساتذة وأنتم سادة الركب وأنتم قادة القافلة، فسكتنا وسلمنا، نعم هذه حقيقة لا يمكن أن تُنكر ولكن لماذا نشأ في العرب جيل عاق يتنكر للمسجد والمصحف وزمزم وصحيح البخاري ويركب موجة ماركوس وجيفارا وعبدالناصر وميشيل عفلق وغيرهم من المرتزقة المبتورين من تاريخ الأمة المحمدي، ومن رسالتها الربانية وميراثها المبارك للوحي، لماذا العربي بالذات، يصد عن الآيات البيّنات، إلى القصص الساقطات؟

لماذا العربي بالذات، يهجر صحيح البخاري ومسلم ليتّبع رسائل الباطنية ومؤلفات الماركسية وغثاء القومية العربية؟ لماذا العربي الأبي بعد أن ألبسه الله التاج ورصّعه بالأوسمة وأجلسه على منبر المجد وجعله في مقام الإمامة للعالم برسالة محمد بن عبدالله ﷺ؟ لماذا هذا العربي يخرج مارقًا مارداً يرفض العزة ويأبى الريادة ويكره الكرامة ليكون تابعاً لرموز إبليسية وأصناماً شيطانيّة تأخذ مكان اللات والعزى ومناة الثلاثة الأخرى؟ أما آن لنا أن نصحوا؟ أما حان لنا أن نستيقظ؟ لماذا لا نفكر من نحن؟ وكيف كنا؟ وكيف أصبحنا؟ أما كنا مصدر التلقي في العالم؟ أما كنا قصة الإلهام في الدنيا؟ أما كنا أنشودة الكفاح في المعمورة؟ أما كنا مضرب المثل للبشرية في العدل والرحمة والصبر والصلاح والهمة؟ فهل لنا من عودة صادقة نحن العرب بالخصوص إلى مصدر رفعتنا وسر خلودنا ونقطة قوتنا بلا إله إلا الله محمد رسول الله وأقول لجميع المسلمين: نحن العرب لسنا أفضل الناس ولا شعب الله المختار ولا تجري في عروقنا الدماء الزرقاء، لكننا الصف الأول من تلاميذ الرسالة والرعيل المتقدم من خدّام الملة أرضاً وإنساناً وتاريخاً وجغرافيًا ومآثر، ونحن نريد أن نعود إلى المركز الأول.

الغرب يجاهد ويحرم علينا الجهاد

لماذا يجاهد الغرب ويحرّم علينا الجهاد نحن المسلمين؟ والدليل على ذلك أنه يصنّع النووي ويمنعنا من ذلك، ويحتل أرضنا ويحمي أرضه، ويستعمر بحارنا ومحيطاتنا، ويدافع عن بحاره ومحيطاته، ومصانعه تنتج الصواريخ والقنابل والقذائف والبارجات والراجمات وحاملات الطائرات وليس عندنا مصانع إلا مصانع الألبان والبيبسي، والغرب يحذرنا من العدوان والتسلح وهو يعتدي ويتسلح ليل نهار؛ لأن الغرب ذكي ويعلم أن القوة هي مصدر الهيبة والعَظَمَة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، والعالم لا يحترم إلا القوي، أما الدبلوماسية والرومانسية والعواطف السياسية فهي كلام فارغ يذر الرماد في العيون ومخادعة الخصم لأن الحرب خدعة وإشغال الشرق في الفنون التشكيلية والرقصات الشعبية والحفلات التراثية على حساب المصانع الحربية ضحكة مكشوفة وإلا فإن دبابة واحدة خير من ألف قصيدة، وصنع صاروخ أفيد من مئة حفلة استعراضية وإنتاج قنبلة أكثر هيبة من مئة ملحمة تذكرنا بمجد الآباء.

وكان يا ما كان في قديم الزمان، يقول نابليون: لا تحدثني كم عند البابا من كتاب، حدثني كم عند البابا من دبابة، هل العالم يحترم الدولة لحسن سمعتها ولطافة ذوقها وكريم تواضعها أم لقوتها وهيبتها، وإن عقلاء العالم وعلماء الحروب وأساتذة العسكرية في الدنيا مجمعون على أن الأقوى هو المحترم والمهيب في المعمورة؛ لأن الدنيا لا تقوم على النزاهة في عالمنا الأرضي وإنما النزاهة والقداسة في الوحي السماوي والشريعة الأرضية، والسياسة تقوم على الخديعة والمكر ومادام أن أهل الأرض يتحاكمون فيما بينهم بقوانين أرضية وبلا شرائع سماوية فالمسألة إذن مسألة مصالح ومناورات ومغامرات بالعلو والاستيلاء والقهر وإثبات الوجود.

وانظـر إلى الـدول الخمس الكبرى النووية كيف تنصـح غيرها بترك النووي والتوبـة مـن القنبلة الذرية وهي أصلاً لم يحترمها العـالم ولم يقدرها حق قدرها إلا لأنهـا تملك السلاح النـووي، فكلمة الدول الخمس مسموعـة ورایاتها مرفوعة وهـي تملك حـق النقض (الفيتو) لأي قـرار، والعالم يخضع لهـا ويخاف صولتها وجبروتهـا وهي في الوقت نفسه تعظ بقية الدول وتنصح سائر الشعوب بأن يكونوا مؤدبين وكويّسين وحلوين ولطيفين، فلا يصنّعوا القنبلة النووية؛ لأن هذا فيه خطر علـى العالم ولا يجوز لأحـد أن يصنّع النووي إلا الدول الكـبرى لتبقى لها الهيمنة والسلطـة والجبروت، لقد كان الغرب ذكيًّا وهـو ينشئ الصواريخ العابرة للقارات والقنابـل الذرية المدمرة للكون وهـو يمنعنا في الشرق من صنع ذلك؛ لأنه يعلم أن الـذي يحكم العالم ويستولي على خيراته يحتاج إلى قوة قاهرة وغلبة ظاهرة، أما الاكتفـاء بقراءة التاريخ والتسلي بأمجـاد الماضي فهو يصلح للطلاب الكسالى في المدارس الليلية في محو الأميّة، كما قال نزار قباني عن العرب:

وطـالـعـوا كـتـب الـتـاريـخ واقـتـنـعـوا
مـتـى الـبـنـادق كـانـت تـسـكـن الـكـتـبـا؟

يـا ابـن الـولـيـد ألا سـيـف تُـؤجِّـره
فـإن أسـيـافـنـا قـد أصـبـحـت خـشـبـا؟

أيها العرب، أرجوكم أقيموا المفاعلات النووية لأغراض سلمية، وحوّلوا مباني كثـير من الصحف اليومية الهزيلة التي لا يقرؤها أحد ودور التراث الشعبي بجمع الخـردة والحبال البالـية والفؤوس المثلّمة والجفان المكسـرة والصحاف المعطوبة حوِّلوهـا إلى صناعة دبابات وراجمات وصواريخ وأقمـار صناعية وغواصات حتى يحترمنـا العالم ويسمع صوتنـا ويقدّر مكانتنا؛ لأن العـالم تحكمه شريعة الأقوى، قال الشاعر العربي:

تعدو الذئاب على مَنْ لا كِلابَ له

وتتقي مربض المستأسد الضاري

ولا يغرنا الكلام المعسول الذي نسمعه من إيران وغيرها من أنها تريد بالنووي إحراق إسرائيل، فهذا كله هذيان وهسترة وسفسطة وهرطقة، قال الشاعر خلف بن هذال:

ولا تامن فروخ الدابْ لو عاشن وبوهن ماتْ

تجيك الصبحْ بانيابن تنسّل كنّها انيابه

المعيشة الضنك

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ المعيشة الضنك هي ضيق الصدر وتواصل الهم والغم والحزن والتّسخط من القضاء والتّبرُّم بأقدار الله والقلق والاضطراب وتمني الموت والإشراف على الانتحار، كما قال المتنبي:

كَفى بِكَ داءً أَن تَرى المَوتَ شافِيًا
وَحَسبُ المَنايا أَن يَكُنَّ أَمانِيا

تَمَنَّيتَها لَما تَمَنَّيتَ أَن تَرى
صَديقاً فَأَعيى أَو عَدُوّاً مُداجِيا

وليست المعيشة الضنك أن تسكن كوخاً أو لا تجد مالاً أو أن تفقد عضواً من أعضائك أو أن تصاب بمصيبة وأنت مع ذلك تملك الإيمان والصبر والقناعة وحسن الاتصال بالله في صلاة خاشعة وتلاوة متدبَّرة وذكر لله دائم، فأنت بهذا النهج في حياة طيبة كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ، فصاحب الحياة الطيّبة راضٍ بقضاء الله طائع لربه متبع لرسوله ﷺ يحمل القناعة في نفسه والرضى في قلبه يسلّم لله فيما كتب من الأقدار إذا أُعطي شكر وإذا ابتُلي صبر وإن أذنب استغفر، وأجمل وصف له هو قوله ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن إصابته ضراء فصبر كان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن**».

أتريد أن ترى صاحب العيشة الضنك؟ سوف تجده في إنسان عاصٍ فاجر تارك للصلاة ظالم لعباد الله عاق لوالديه قاطع لرحمه معترض على قضاء الله

يلهث وراء المادة حينها تجده يعيش مهزوماً مفتوناً حائراً قلقاً؛ لأن الذي يملك السعادة هو الله وحده، فإذا أغلق الإنسان الباب الذي بينه وبين الله وقطع الحبل الواصل الذي يصله بالله فمن أين تأتيه السعادة؟ وسوف تشاهد في حياتك أهل العيشة الضنك الذين أعرضوا عن الهداية وألغوا المسجد من حياتهم والسجود لله وهجروا القرآن وارتكبوا ما يسخط الله وقد يجمع أحدهم مالاً كثيراً ويملك ثروة هائلة ويجمع دوراً وقصوراً لكنه في غم دائم وحزن مستمر ولا يُفهم من هذا أن الأغنياء والأثرياء دائماً أشقياء بل كم من غني ومؤمن صادق وعابد منيب يسكن قصراً مشيداً وكم من فقير ممزق الثوب مفلس من المال وهو عدو لله فالميزان ليس كثرة المال أو قلته أو فخامة المسكن أو بؤسه أو علو المنصب أو دنوّه إنما الشأن في قلب هذا الإنسان في ضميره في إرادته فالسعادة تأتي من النفس المطمئنة المؤمنة والشقاء والمعيشة الضنك تنطلق من قلبٍ مارد جاحد ومن ضميرٍ خاوٍ ومن إرادة فاشلة.

اقرأ قصصاً عالمية لأثرياء وأغنياء جمعوا المليارات والبنوك ومنهم من انتهى إلى الانتحار أو المرض النفسي أو الهسترة والهذيان وفقد العقل لأنهم فقدوا البوصلة التي تدلهم على السعادة والحياة الطيبة المتمثِّلة في الإيمان الصادق والقناعة واستقامة الضمير والقيام بالحقوق والواجبات وإعطاء كل ذي حق حقه، لا تبحث عن السعادة في جمع الدولار والدينار واليورو والريال والدرهم فإن كبار يهود العالم يملك الواحد منهم من الثروة ما لا تملكه دولة من الدول لكنه جمعها من الربا والغش والنصب وغسل الأموال وهو مع ذلك محارب لله مكذّب لرسله معرض عن طاعته فأين السعادة إذن؟ ولا تظن السعادة أن تسكن قصراً أو برجاً عاجيًّا أو حديقة غناء، فقد سكنها قوم وملكها أناس، لكنهم لما أخطؤوا طريق السعادة حُرموا الحياة الطيبة وعاشوا أشقياء بكدر وانزعاج حتى أتتهم القاضية، وفي المقابل وجد السعادة أناسٌ يسكنون الخيام وينامون على الحصير

ويأكلـون خبز الشعـير لكنهم ما بين سجدةٍ وتـلاوةٍ ودعاءٍ وقناعـةٍ وصبرٍ وشكر، فعاشـوا سعـداء وماتوا راضين عن الله والله راضٍ عنهم، فيـا أيها الإنسان، فتش عـن السعـادة فيما أعطـاك الله في مواهبه الجمة في نعمه الجزيلـة ومفتاح ذلك الإيمـان به جل في علاه وامتثال أمره واجتناب نهيه مـع حسن معاملة عباده، وقد جمعهـا ﷺ في قوله: «**اتقِ الله حيثما كنت، واتبـع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**».

الناجح لا ينتظر الظروف

الناجح بهمته وصدق عزيمته يسهّل الله له الصعاب ويهيئ له الظروف، أما الكسول الفاشل المحبط فيعتذر بالظروف وتقلبات الطقس وحالات المناخ، كما قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾. وكما قال علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه وهو يوبخ المهزومين: إذا حلَّ الصيف قلتم: لا نفر في الحر، وإذا حلَّ الشتاء، قلتم لا نقاتل في القر، فلا في الحر قاتلتم، ولا في القر جاهدتم يا أشباه الرجال ولا رجال، يا أمثال ربات الحجاب، فالناجح يتوكل على الله ولا تعيقه الظروف عن طموحه ومشروعاته الرائدة الجبارة، أما الضعيف المهزوم فأي ظرف يعيقه، فتجد عنده قائمة من الظروف الصعبة في نظره تمنعه من العلم والتزود من المعرفة والصعود إلى معالي الأمور وتولي المهمات الصعبة، خذ مثلاً حفظ القرآن أعرف شباباً من سنوات يتوعدون ويهددون بأنهم «سوف» يحفظونه ولكن إذا تشافت والدة أحدهم أو أكمل دراسته وعاد إلى مدينته أو انتهى من إجازته عنده كلمة «سوف» وهي كلمة الإحباط والفشل والانهزام وقد ندد الله بأعدائه وأحال عليهم سوف عذاباً في الآخرة فقال: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.

قال بعض العلماء: حملهم طول الأمل، وسوء العمل، واستبطاء الأجل، على الإكثار من «سوف»، فأنبتت لهم شجرة «سوف» نبتة (ليت) طلعها (لعل) وثمرها (الخيبة) وطمعها (الندامة) لا تنتظر الظروف تتهيأ لك فما تهيأت لأحد، فالرواد والفاتحون والعظماء والعلماء والمخترعون عندهم ظروف مثل ظروفك بل أشد كانوا يمرضون ويجوعون ويفتقرون ويموت أقاربهم ويُهاجَمون من أعدائهم وحسّادهم لكنهم يصبرون ويستمرون ويواصلون، أحسن الله عزاءك في النجاح والتميز والريادة إذا بقيت تنتظر الظروف السانحة والمناسبة لك، متى تتعلم العلم إذا كان الشتاء يؤذيك ببرده، والصيف يزعجك بحره، وتكرار العلم يسبب لك

الإرهـاق، والحفظ يجلب لك الملل، والعمل يدخـل عليك المشقة؟ يقول الصينيون: الجالـس على الأرض لا يسقـط؛ لأنه ساقط أصلاً من أيـن يسقط وهو لم يصعد جبلاً ولم يرتقِ قمة إنما يسقط من يصعد جبال الهملايا والألب والسروات ويجنّح كالصقر في طلب السمو والرفعة.

التقـى الحصـان والحمار، فقال الحمار للفرس: لـو خففت من الجري، فقد أتعبـت نفسـك، قال الحصـان: أنا لما أسرعـت في الجري ركبني الملـوك وأنت لما أبطـأت في السير حملوا عليك الروث والحطب، وقال الضبع للأسد: أنا في مكاني يأتينـي صيـدي وأنـا سمين منعّـم وأنت لا تأكل صيـدك إلا بعد جهـد وقتال، قال الأسد: لأنك تأكل الميتة والجيفة، فرضيت بالدون وأنا لا آكل إلا البازل من الجمال والسمينـة من البقر، وكثير من الناس تركوا الفضائل والتحلي بالصفات الجميلة وطلـب العلـم والمعرفة بحجـة أن الظـروف لا تساعدهم أو كانـت ضدهم، أتذكر أحـد الأثريـاء في بغداد اعترض علـى الأعمش المحدث الكبير لمـا أورد حديثاً عن الرسـول ﷺ فقال الرجل الثري للأعمش: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، فقال الأعمش: أشغلك عنه جلوسك على جفان الثريد وتربعك على فرش الحرير.

وفي الصحيـح أن ابن مسعود رضي الله عنه يقول: كنـت قبل الهجرة في الحرم أصلي وحـدي فأقبل رجلان سمينان بطينـان، كثيرٌ شحم بطونهما قليـل فقه عقولهما، وقـال أحدهـم للآخـر: هل ربنـا يسمعنـا إذا تكلمنا؟ فقـال الآخـر: يسمعنا إذا رفعنـا أصواتنا ولا يسمعنا إذا تناجينـا، وفي حياتنا نشاهد أناساً فارغين عاطلين فنسألهـم: لماذا تركوا القـراءة أو التلاوة أو عملاً صالحاً محـدداً؟ فيعتذرون إما بكـثرة أسفارهـم أو ظروفهـم العائلية أو أنهـم سوف يفعلون ذلـك مستقبلاً وما هناك إلا التسويف والإرجاف والوهم، الصادق في عزيمته يركب الصعب والذلول؛ ليحقق مراده بإذن الله، ولقد طالعت كتاب (سير أعلام النبلاء) في (٢٣) مجلداً و(الأعلام) للزركلي (١٠) مجلدات كلها عن الأعلام والعظماء والناجحين، فإذا القاسم المشترك الذي يجمعهم هـو الهمة العالية والصبر والمثابرة وحفظ الوقت

وعـدم انتظار الظروف المناسبة ومنهم الأعمـى والأشل والأعرج والمقعد والمريض والفقير، ولكنهم ساروا نجوماً في العلم والمعرفة والقيادة وأبواب الخير والصلاح، فابـدأ مـن الآن وتوكل علـى الله ولا تنتظر تهيـؤ الظروف، فما تهيـأت لأحد، ولم تُفرش طرق المثابرين والمجاهدين واللامعين بالورد، بل بالشوك والتعب والنصب والدموع والعرق والدماء، حتى جلسوا فوق النجوم، قال أبو الطيب:

إذا غـامَـرتَ في شَـرَفٍ مَـروم
فَـلا تَـقـنَـعْ بِمـا دونَ الـنُّـجـومِ

فَـطَـعـمُ المَـوتِ في أَمـرٍ حـقـيرٍ
كَـطَـعـمِ المَـوتِ في أَمـرٍ عَـظـيمِ

بناة المجد

بنـاة المجد أناس تركوا أثرهم الطيب في الحياة، وسجلوا أسماءهم في سجل الشرف والمجد؛ لما قدموه لأمتهم من خير ونفع وما خلفوه للأجيال من تراث مجيد وتركـة مباركة، وأي ناجح في مجال مـن مجالات الحياة هو من بناة المجد أيًّا كان ذلـك المجال، وبناة المجـد في الإسلام لهم صفات، منهـا أن يكون الله راضياً عن هذا الإنسان وأن يقدّم عملاً نافعاً وأن يكون من حوله راضين عنه بين ثلاثة أركان لمجـد المؤمـن الصادق في الدنيا والآخـرة الناجح في حياته فلا بـد أن يؤمن بالله على منهج رسول الله ﷺ لأن المنحرف الضال لا يُعدّ في الإسلام ناجحاً؛ لمحاربته لربـه وكفـره بآياته وشرعه وأن يقـدّم عملاً ينتفع هو به ويستفيـد منه البشر وأن يرضـى عنـه من حوله مـن والد وابن وزوجـة وصديق وشريك ونحـوه، فلا نجاح لشرّير وفاجر يـؤذي الناس ويكون سبباً في شقائهم مهما قدّم من عمل، فالناجح يشعـر بالأمان في نفسـه ويعيش الناس معـه في أمان ويأمن غضـب الله بطاعته، ولهذا قال الله في أوليائه الناجحين الفائزين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾.

وأنـا أذكـر أمثله للناجحـين في الحيـاة، فالسلطان العادل الـذي ينشر الخير ويرحم العباد ويعمل بالمساواة ويحمل روح الإنصاف ناجح يُشكر في الدنيا والآخرة، والعالم الرباني الذي تعلّم العلم وعمل به وعلّمه الناس نجم في سماء الفضيلة والبر والصـلاح والطبيـب الحاذق الـذي ينصح لمريضـه ويسعى في شفـاء الناس مبجّل محترم من الرواد، والمهندس الذي يشارك في العمار ويسهم بفكره وجهده في البناء رجل مرموق له مكانته في سجل الشرف، والكاتب الموهوب الذي يرسم بقلمه حروف الوعـي والنهضـة والصلاح ويجتنـب الإساءة والزور كوكـب دُرِّي يضاف إلى قائمة اللامعـين في مسـيرة العطاء والرقي والنجـاح، وقس على ذلـك المشاركين في صنع الحياة الكريمة الراشدة من مزارع وجندي وبناءٍ وصحفي وغيرهم، إن بناة المجد لا

يحتاجـون إلى دعاية من غيرهم تقوم على استئجار الأقلام وشراء الضمائر، وإنما جهدهم المبارك وعملهم المشكور ونتاجهم الباهر وأثرهم الطيب خلّد أسماءهم في ذاكرة الأمة وفي ديوان الريادة، من الذي يستطيع الآن أن يمسح بجرّة قلم أو بكلمة مؤذيـة اسم رمـز تاريخي، قدّم لأمته أعمالاً جليلة أو تـرك آثاراً خالدة اعترف بها العقـلاء، وفي المقابل من الذي يستطيع أن يرفع وضيعاً خاملاً فاشلاً ناقصاً تافهاً، فيجعله في الصف الأول مع قادة العلم والفكر والزعامة والموهبة والتميز؟

إن الشمسـ في رابعـة النهار لا تحتـاج إلى قصائد عصمـاء في مدحها، فقد فرضت جلالها وبهاءها وسناءها على الكون وإن القمر ليلة البدر لا تزيده ملاحم الثناء وكلمات الإعجاب علواً إلى علوه، قال زميلنا وصديقنا أبو الطيب المتنبي:

مَـن كـانَ فَـوقَ مَحَـلِّ الشَّمـسِ مَوضِعُهُ
فَلَـيـسَ يَـرفَـعُـهُ شَـيءٌ وَلا يَـضَـعُ

وفي كتـب الأخبـار أن أعرابيـًّا كان في وادٍ مظلم يمشي ليـلاً، وقد اسودَّ عليه المـكان، فوقف حائراً، وفجأة طلـع القمر عليه فالتفت إلى القمـر فرحاً مسروراً، وقال من شدة الغبطة وهو يخاطب القمر: يا قمر، إن قلت: رفعك الله فقد رفعك، وإن قلـت: جمّلك الله فقد جمّلـك، لكن أقول: جزاك الله خيراً يـا قمر، قام أحد الأنـذال في عصـر التابعين يسب أمـير المؤمنين علي بن أبـي طالب رضي الله عنه فقال له أحد العلماء: يا فلان، إن علي بن أبي طالب قد بلغ من الرفعة عند الله وعند خلقه مـا لا ينفعـه مدح مادح ولا يضـره سبُّ ساب، واعلم أن عليـًّا قد رضى الله عنه، وأدخله الجنة فهل يضره بعد هذا كلام؟ فسكت الرّجُل كأنه كلبٌ أُلقِمَ حجراً، ومن الأمثلة المضحكة أنني قرأت لبعض كتّابنا في صحف محليّة يحاكمون شيخ الإسلام ابـن تيمية ويدّعون أنـه لم يفهم بعض القضايا كما ينبغـي وعنده خلط عجيب في بعض المسائل وهؤلاء الكتّـاب أصفار حتى في عالم الكتابـة، نكرات في الحياة في حاجـة ماسـة إلى تعليم وتربيـة وأدب، فابن تيمية ليس بنبـي معصوم لكنه إمام

معتبر كبير خطير شهد له الشرق والغرب حتى بعض المفكرين من غير المسلمين سجّلوا شهادات إعجاب لهذا العالم، الرباني والمفرد العلم فيأتي كاتب بليد غبي لم يفهم كلام هذا العبقري الأعجوبة، فيقول ما قال، فليته سكت على جهله وستر غباءه ولكنه فضح نفسه، وادعى بالباطل جهلاً أن ابن تيمية عنده تناقض وتخبط والذين يستحون قد ماتوا، والمقصود أن بناة المجد توكلوا على الله ثم اعتمدوا على أنفسهم فقدّموا بجهدهم وعرقهم عطاءً مباركاً ومجداً خالداً وأثراً عظيماً، قال إبراهيم عليه السلام لربه تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾، أي ثناءً حسناً وذكراً جميلاً، قال أبو الطيب:

ذِكرُ الفَتى عُمرُهُ الثاني وَحاجَتُهُ

ما قاتَهُ وَفُضولُ العَيشِ أَشغالُ

obeikandl.com

لا تعلّق الدّر في أعناق الخنازير

ذكر الحاكم في كتابه «المستدرك» أن عيسى عليه السلام مرّ بسفلة أنذال، فقيل له: ألا تعلّمهم؟ فقال عليه السلام: إن من الحكمة ألا تعلق الدّر بأعناق الخنازير، تذكرتُ هذا القول وأنا أقرأ أخبار الملاحدة والزنادقة ومقالاتهم في الصحافة ومواقع الإنترنت وأطالع كتب فلاسفة الباطنية الكافرين بالله الصادّين عن سبيله المخاصمين لرسله عليهم السلام المعرضين عن الوحي، فأتذكر قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾، ثم أقرأ نتاج فروخهم وكتابات أحفادهم فإذا هم ذرية بعضها من بعض في الضلالة والانحراف وأتصفح كتب وروايات بعض شياطين العرب الذين يلمزون الشريعة ويحاربون الملة ويبغونها عوجاً ويتشدّقون بكلام الفلاسفة وينفرون من أحاديث البخاري ومسلم ويعشقون أسماء سقراط وأفلاطون وأرسطو ويهجرون أسماء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وأقول في نفسي: ما لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون؟ لماذا ينخلعون من مجد العرب وشرف العرب وفخر العرب وهو الرسالة النبويّة الخالدة؟ ماذا عندنا نحن العرب إذا لم نتشرّف بالإسلام؟ ماذا نملك؟ ماذا نحمل للعالم؟ ما الذي نفاخر به الدنيا؟ ما الذي نباهي به شعوب الأرض إذا لم يكن الدين الخالص والوحي المقدّس الذي بُعث به سيد ولد آدم رسول الهدى صلى الله عليه وسلم.

إن هؤلاء العاقين يفعلون مع الرسالة المحمديّة كما يفعل الجعلان مع الزهر، إنه يفرّ من رائحة العطر ويعشق رائحة الدنس والنتن ثم أتذكر: (لا تعلق الدّر في أعناق الخنازير)، ما الذي أعجب ملاحدة الفلاسفة وزنادقة الكتّاب في طرح (ماركس) و(غوتا) و(ديكارت) و(كانت) ولم يعجبهم علم (أبي حنيفة) و(مالك) و(الشافعي) و(أحمد بن حنبل)؟ ما الذي حملهم على الهيام بروايات التحلل والفجور والمجون والتغني بأفكار الكفر ورفض الشرع والاستهزاء بالأنبياء وركوب موجة الزندقة والباطنية الجاحدة؟ والنظر بعين الازدراء إلى تراث

الصدق والطهر ونصوص القداسة والإيمان وميثاق العلو والشرف والحرية والعدل والكرامة الإنسانية الماثل في رسالة الإسلام؟ لكنني أتذكر: (لا تعلق الدّر في أعناق الخنازير).

لماذا يرفض هؤلاء الأقزام الأزلام الأصنام مكة وزمزم والقبلة واسم جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ وغار حراء والذكر الحكيم والسنّة المطهّرة وبدرًا والفتح وبيعة الرضوان، ثم يتجهون إلى موسكو وبكين ويرددون اسم تولستوي وفولتير وهيجو ودانتي وغيرهم؟ لماذا تحب هذه الشرذمة الأفكار الطينية، والآراء الترابية، والمناهج الإبليسيّة، وتحارب الآيات الربانية، والأحاديث النبوية، والتعاليم الإسلامية؟ فأتذكر حينها: (لا تعلق الدّر في أعناق الخنازير)، إن الواحد القهار جل في علاه شرّف العرب وغير العرب بمبعث النبي الأمي الهاشمي القرشي العربي ﷺ ولكن من حقت عليه كلمة العذاب وقدّر الله عليه الشقاء وكتب عليه الخزي والعار وأعد له الأغلال والنار لا يريد هذا الشرف ولا يحبّذ طوق النجاة من الهلاك ولا يركب سفينة الإنقاذ من الغرق قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

إنني أقرأ القرآن فيعمر الرضى نفسي والسكينة روحي والطمأنينة قلبي وأشعر كأن الرحمة تحف بي، فأتساءل في نفسي: أي إكرام لي وأنا الإنسان المذنب المقصّر الفقير أن يخاطبني ربي بكلامه عن طريق رسوله؛ ليهديني ويصلح بالي وينوِّر بصيرتي ويُقوِّم منهجي وينقذني من غضبه وعذابه وأليم عقابه ويدخلني في رحمته؟ ثم أنظر في كلام هؤلاء المنحرفين الشّاكّين المدلّسين الملبّسين المردة الأدعياء، فأجد السخف والكذب والزور والبهتان والانحطاط، فأقرأ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. إذاً، فمن رفض الهداية وأبى الطُّهر وأنكر البرهان وهرب من الشرف وأدبر عن إيمان ثم أقبل بعدها على التمسّح

بأوثان البشر وأقدام الطواغيت وقلّب وجهه على أحذية الملاحدة الخونة فدعه في دنسه واتركه في رجسه: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾، وعليك ألا تعلّق الدّر في أعناق الخنازير؛ لأن الخنزير خبيث النفس، خبيث الجسم، خبيث المأكل، خبيث المشرب، خبيث الرائحة، والخبيث لا يحب إلا الخبيث، ولا يهوى إلا الخبيث، ولا يعشق إلا الخبيث: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾، أما أهل الإيمان، وعباد الرحمن، وحملة القرآن، وأتباع سيد ولد عدنان، فهم روّاد الصدق وأنصار الحق وجنود الوحي؛ لأنهم طيبون، كلامهم طيب، وفعلهم طيب، ومعتقداتهم طيبة، ومطعمهم طيب، ومشربهم طيب، ومنقلبهم طيب: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾.

كرت أحمر لكل من يكتب إلحاداً أو زندقة أو فجوراً مكتوب عليه: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾، لافتة تحذير وإنذار لكل عدو للملّة وخصم للشريعة، سُجّل عليها: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

الوحدة العربية المزعومة

ذكر كثير من المؤرخين أنه لولا النبوّة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام لما اجتمع العرب على دولة وما كان لهم كيان واحد؛ لأن العرب أمة صحراوية عشائرية، البداوة عندها تغلب التمدّن، وقد ألمح إلى هذا ابن خلدون وابن مسكويه وكلما ابتعد العرب عن روح الدين الإسلامي، كثر فيه الخلاف ولا أعلم أمة اليوم من أمم أرض أكثر خلافاً من العرب، فعندهم خلاف فقهي مذهبي وخلاف عقديّ طائفي وخلاف فكري وسياسي وحزبي فهم دول شتّى وآراء متباينة ورايات مختلفة وتوجهات متضادة مع ضعفهم في جانب المدنية والحضارة الدنيوية فهم لم يقدموا للعالم رسالتهم الإسلامية بقوة وبصدق وبجمال ولم يهدوا للبشرية ما ينفعها في دنياها من اختراع أو صناعة أو إنتاج، بل هم مستوردون مستهلكون.

وقارن بين حال العرب الآن وحالهم في القرون الأولى المفضّلة بعد البعثة المحمدية فقد كانوا في العهد الأول أمة واحدة بلا خلاف على عقيدة واحدة صحيحة قبل أن تنشأ فرق الخوارج والقدريّة والجبريّة والمعطّلة والمعتزلة وغيرهم وكانوا في الفقه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليس عندهم خلاف كبير حتى يندر أن تجد في المسألة قولين قبل أن تحصل في المذاهب الأربعة وغيرها وكانوا أمة واحدة يهتز لها المشرق والمغرب وتقف الدنيا بأسرها احتراماً لها ثم مرت بنا دورة التاريخ وسنة المداولة: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ ووصل بنا الحال إلى أن تقاتلنا فيما بيننا وتقاطعنا وتهاجرنا وكفّر بعضنا بعضاً مع التبديع والتّضليل والتّفسيق فعطّلتنا الخصومات فيما بيننا عن تقديم رسالتنا للعالم وعن تمدننا وتحضّرنا وقد حذّرنا الله تعالى مما وقعنا فيه فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

والمسؤولية الآن مسؤولية العقلاء من أهل الحكم والعلم والفكر والأدب أن ينقذوا الأمة مما وقعت فيه من خلاف وتفرّق؛ لتوحيد الخطاب والرفق بالمخالف

وتحكيم الحوار والاجتماع على الثوابت وعذر المخالف في الفروع والجزئيات وإعطاء العقل مساحته في الرأي وأن نعفي العالم من هذه المحاكم والمشانق التي يُصلب عليها الفكر صباح مساء، ولنأخذ منهج القرآن: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾، وقوله: ﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾، تكتّل الغرب والشرق، ونسوا خلافاتهم فاطّلعوا وأنتجوا وأبدعوا وبنوا وشيّدوا واختلفنا على مستوى القرابة والقبيلة والدولة والأمة، فضعفنا ووصلنا إلى الغثائية التي أخبر بها ﷺ حيث قال عن أجيالنا: «**ولكنكم غثاء كغثاء السيل**». لن تنفعنا الشعارات القوميّة التي ما استعادت حقًّا ولا بنت مجداً والتي ضيّعت أتباعها بكذبة: (أمة عربيّة واحدة، ذات رسالة خالدة) وهي من إنتاج وتوزيع شركة البعث العربي الاشتراكي، وقد رأينا آثار هذا الشعار السخيف التافه في احتلال العراق للكويت وسوريا للبنان ثم ذبح صدام، ويشار لشعبيهما في مجزرة ما سمع التاريخ بمثلها، وشعارنا وفخرنا ومجدنا في كلمة التوحيد والوحدة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وليمت الجبناء بغيظهم.

التمدن عن طريق الكلاب

تحاول الأمم المغلوبة أن تحاكي الأمم الغالبة فيما أبدعته، وأجادت فيه فتعجز في الغالب فتعود لتحاكيها في أمور هزيلة وسخيفة لا تكلفها جهداً، وقد سافر شباب من الشرق إلى الغرب فانبهروا بالحضارة المادية ودُهشوا من ضخامة الاختراعات والاكتشافات والتطور الدنيوي المذهل، ولكنهم لعجزهم عن صعود هذا السُّلم المكلف المرهق أرادوا تقليد الغرب في مشاهد باهتة ومظاهر سخيفة ليظهروا أمام الآخرين بمظهر المتمدن الحضاري، فعادوا إلينا بأدمغة جامدة وضمائر ميتة وعليهم صورة الغرب في الظاهر، فمنهم من تقلّد سلسلة في عنقه وفي يديه مع قصة لشعر رأسه وجنز محزوق يرتديه وفنيلة عليها صور نجوم الفن والكرة في الغرب ومعه كلب يقوده يركب هو وقرينه الكلب سيارة مكشوفة (الخنفساء) ويعبر بها شوارعنا؛ ليرينا تمدّنه وتحضّره، ويا للخيبة والخسارة إن كان هذا هو التمدن والتحضر، إذا كان غايته كلباً يصاحبه وينام ويأكل معه! والكلب في شريعتنا لا يُقتَنى إلا لثلاثة أسباب كما في الحديث الصحيح: في الصيد وحفظ الماشية وحراسة الحرث، أما غير ذلك فمن اقتنى كلباً أو أدخله بيته بغير تلك الأسباب فإنه فعل محرماً ينقص من أجره كل يوم قيراط.

والكلب نجس حتى إنه إذا ولغ في الإناء يُغسل منه الإناء سبع مرات إحداهن بالتراب، وملابسة الحيوان والبهائم تورث لمن لابسها وصاحبها أخلاق هذه البهائم كما حقق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) وذكر الحديث الصحيح: «**الكبر والخيلاء عند أصل أذناب الإبل والسكينة والوقار عند أهل الغنم**»، فاكتسب أهل الإبل من مصاحبة الإبل الكبر والخيلاء، واكتسب أهل الغنم من مصاحبة الغنم السكينة والوقار والصاحب ساحب، والقرين بالمقارن يقتدي، وقد ذمَّ الله أعداءه الفجرة الأشقياء بأنهم أكثر انحطاطاً في الفهم من البهائم قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا

كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم ﴾ يقول سفيان بن عيينة: ما من إنسان إلا وفيه شبه بحيوان، فمنهم من يشبه الأسد أو الصقر أو الثور أو الذئب أو الثعلب أو الرخم أو الهدهد أو الغراب إلى آخر أنواع الحيوان، والمتنبي عرّض بحسّاده وذكر أن الإبل أذكى منهم يقول مهاجماً عدوه اللدود الوزير الصاحب بن عباد، وقد مر بأرضه مسافراً إلى سعيد بن عبدالله، فأرسل قذيفة إلى الصاحب يقول فيها:

لـوِ اسـتَـطَـعْـتُ رَكبـتُ الـنّـاسَ كلّهـمُ
إلى سَـعـيـدِ بـنِ عَـبْـدِالله بُـعْـرَانَـا

فـالـعِـيسُ أعْـقَـلُ مِـنْ قَـوْمٍ رَأيْـتُـهُـمُ
عَـمّـا يَـراهُ مِـنَ الإحـسـانِ عُـمْـيانَـا

أبـدو فـيَـسـجُـدُ مَـنْ بـالـسّـوءِ يـذكُـرُني
فَـلا أُعـاتِـبُـهُ صَـفْـحـاً وإهْـوَانَـا

والكلب أخس الحيوانات وأقذرها وأحطُّها، حتى إن الله وصف العالم الخائن الفاجر بالكلب، فقال: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ﴾.

وعلى طاري الكلاب وكلام أبي الطيب المتنبي على متمه كان دعبل الخزاعي الشاعر الشهير يسمى شاعر الكلاب؛ لأنه أمر عند موته أن يُدفن عند باب مقبرة آل البيت بالنجف، ويُكتب على قبره: ﴿ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِ ﴾، وقد هجا خلفاء بني العباس بالترتيب الأول فالأول فلما تولى المعتصم وكان الثامن من خلفاء بني العباس قال دعبل:

مـلـوكُ بـني الـعـبـاسِ في الـكـتْـبِ سبعةٌ
ولم تـأتـنـا في ثـامـنٍ مـنـهُـمُ الـكـتْـبُ

كذلك أهل الكهفِ في الكهفِ سبعةٌ
وثامنهمُ فيما أتى عندنا كلبُ

وإني لأزري الكلب عن ذكره بكم
لأن لكم ذنبًا وليس له ذنبُ

فما جزاء من أحرجنا أمام العالم وأرسلناه إلى الغرب؛ ليكون مهندساً أو طبيباً أو طيّاراً، فعاد يجرُّ في شوارعنا زميله الكلب بحبل من مسد في عنقه كأنه حمالة الحطب، إن التمدن هو الرقي بالذوق والتعالي إلى هامة المجد والانتصار على الرذائل وإثراء العقل بالمعرفة والقلب بالإيمان واليد بالعمل، التمدن ليس المظهر المخزي الباهت السخيف الذي يحاكي أراذل القوم ممن عجز عن الإبداع والإنتاج والعمل، فصار صفراً في هامش الحياة.

الشباب صنّاع التغيير

كان جيش الرسول ﷺ في بدر شباباً خرجوا معه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فحطموا الأصنام، وداسوا الأزلام، وحذفوا رؤوس الأقزام، واستمر الشباب في كل أمة وفي كل جيل يصنعون أملها المنشود ومجدها الموعود.

والذي شرح خاطري في شباب تونس ومصر والذين صنعوا التغيير أنهم جمعوا بين الإيمان والعمل؛ الإيمان بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، والعمل من أجل حياة كريمة وحضارة راقية ومجتمع سليم معافىً، كانوا يصلّون الصلوات الخمس في الميدان، ويحفظون الأمن، وينظفون السكك، ويداوون الجرحى، وينظمون المرور، جمعوا بين ثقافة المسجد والمصنع، والمصلّى والشركة، والمصحف والميدان، والقلم والمشرط والريشة، فأذهلوا العالم بإيمانهم وصبرهم وثقافتهم.

كنت قبل أسبوع في الهند مع بعض الدعاة السعوديين، فزرنا خمس جامعات في ولاية كجيرات وجمعية العلماء بنيودلهي وندوة العلماء بلكنو، فوجدنا شباباً مؤمناً بالله جمع بين دراسة صحيح البخاري والفيس بوك، بين التسبيح وتعلم الكيمياء، بين اتباع السنة ودراسة الكون، وكان أستاذهم في الهند الدكتور أبو الكلام الفيزيائي المسلم المصلي الذي اكتشف القنبلة الذرية، فأكرمه الشعب الهندي بأن توّجه رئيساً للهند، كان عنده معمل فيزيائي معه ثمانية موظفين، إذا أذّن المؤذن ترك العمل، وذهب إلى المسجد، وهذا الذي نريده من الشباب.

وعجبي من شباب مفلسين محبطين فاشلين ليسوا ناجحين في الدين ولا في الدنيا، بل تجدهم متذمرين من الطاعة لله، عندهم خجل من التدين، ما أخذوا من الغرب إلا ركوب البنز، ولبس الجنز، فصار أحدهم كالعنز، قلوبهم فارغة من الإيمان، وأدمغتهم فاضية من الثقافة والمعرفة، وهم ممتازون في السهر الضائع

وقتل الوقت في نفث سجائر الدخان والأحلام الوردية والوساوس الشيطانية، صلينا صلاة الجمعة في الهند في اليوم الذي سقط فيه رأس النظام المصري فيما يقارب عشرين ألف شاب مسلم درسوا علم الشريعة والرياضيات والكيمياء والفيزياء، وأخذوا يدعون الله أن ينصر الشعب المصري كما نصر الشعب التونسي، فهم يحملون رسالة الإسلام التي جمعت بين الأبيض والأحمر والأسود، وبين العربي والهندي والفارسي والتركي والكردي وكل أجناس البشر.

إن الأمة الإسلامية لا يصنع تغييرَها إلى الأفضل والأجمل والأكمل إلا شبابٌ مؤمن يعترف بالقبلة والمصحف والشريعة، مؤمن بالعمل، وينتشر بعد الصلاة إلى المكتب والثكنة والعيادة والمزرعة والجندية والجامعة والسوق، يشارك في صنع الحياة، فيبني ويعمّر، ويخطط ويهندس، ويحرث الأرض، ويبيع ويشتري، ويحرس الأمة، ويكون عضواً صالحاً في المجتمع المسلم.

لا نريد شباباً فاجراً يستهزئ بالديانة، ويخون الأمانة، لا يشارك في صنع الحياة، وإنما هو غدة زائدة في الجسم، وصفر مهمل في عدد الأمة، من أين أتتهم الفكرة التي تقول: لن يحصل تقدم دنيوي إلا بالتنكر للدين؟ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. لقد شاهدنا الشباب المسلم الناجح في الشرق والغرب الذي حصل على أعلى الشهادات وأعظم الجوائز في كل تخصص، وهو يحافظ على الصلوات الخمس، ورأينا الشباب الفاشل المهزوم المسحوق وقد تنكر للعبادة، ففشل في الدراسة والوظيفة والإنتاج، نريد أن نجمع بين المسجد والمصنع، والجامعة والميدان، والمصحف والمختبر، بين المجد في الدنيا والنجاة في الآخرة، وأعوذ بالله من الكفر والفقر والفجور والكسل. يقول الله تعالى في كتابه عن الشباب المؤمن صانع التغيير: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.